

واقع الأداء اللغوي في المدرسة العامة

د. عيساوي نسيمه
أستاذة محاضرة ب بقسم
علم الاجتماع والديموغرافيا
جامعة البليدة 2

الملخص:

المدرسة العامة حاليا تلقت رسوبا تربويا واجتماعيا، نتج أساسا بسبب الاختلال الوظيفي اللغة في مجال التعليم سواء كان ذلك على المستوى التربوي أو على مستوى المحتوى للبرامج التعليمية التي تدرس في المدرسة العامة على وجه الخصوص، كونها تقصي شراكة المختصين اللغويين وعلماء الاجتماع والنفس اللغويين والخبراء التربويين في إعداد البرامج التي تناسب وتواكب مستوى فهم التلميذ والتي من الضروري التركيز على وضوح التعبير الكتابي والشفوي والطلاقة اللغوية للقضاء على الطريقة البافلوفية.

Résumé :

Actuellement l'école étatique a subie un échec socioéducatif essentiellement du au dysfonctionnement de la langue enseigner , et ce à partir de la formation pédagogique , ; le contenu des programmes scolaires qui ont exclue la participation des linguistes ; ; sociologues de l'éducation ; psychologues de langage ; de créés des programmes adéquats au niveau compréhensive de l'écologiste donc il est important de se baser sur la clarté de l'expression orale et écrite ; voir, la spontanéité linguistique ; pour pouvoir exterminer la méthode pavlovienne .

المقدمة

أصبحت العملية التربوية الشغل الشاغل للمختصين التربويين حول ظاهرة تراجع المستوى التعليمي في المنظومة التربوية الجزائرية من جهة، ومن جهة أخرى حول ضرورة إعادة النظر في البرامج التعليمية وأيضا التحسين في أسلوب الأداء لبعض المعلمين.

بمعنى آخر نستطيع القول أن كل انشغالهم كان وما زال منصبا حول مدى توافق هذه البرامج التعليمية مع القدرات التعليمية للمتعلم لغاية الفهم والاستيعاب ومن خلال انتقاء الكفاءات العلمية من معلمين ومختصين بيداغوجيين للرفع من المستوى التعليمي للمتعلمين و لغاية فعالية العملية التربوية يرى Fourez-Gérard في كتابه: (éduquer(écoles. Ethiques. sociétés) قائلا: [النظام التربوي في المجتمع، له هدف أساسي المتمثل في إعادة إنتاج نسقه الاجتماعي لتجنب صلابته أين وظيفته هي نقل الماضي لأجيال المستقبل، حتى ولو أردنا مستقبلا يختلف عن الماضي... وليس ما يعتقد البعض في تعريفهم له أن النظام التربوي الغاية منه تغيير المجتمع على العكس من ذلك لأن الطريقة التي نتصور بها المستقبل مشكّلة ومصاغة عن طريق الأفكار الآتية من الماضي]

Passeron et Bourdieu يقولان في هذا الصدد [مهنة المعلمين هي إعادة إنتاج الماضي هذا الافتراض لا يعني انه لا يجب أن نغير نحو مستقبل أحسن، لكنها أي هذه المهنة تقر في نهاية الأمر ليست المهام الأساسية للمدرسة] (F.Gérard ;1998p13)

بمعنى أن فشل أو نجاح العملية التربوية غير مرتبط بالنسق المدرسي لوحده، كما أن المدرسة لا تعيش بمعزل عن المحيط الاجتماعي وضغوطاته، أين لا يجب على المدرسة الجزائرية تجنبها أو تجاوزها بالابتعاد عن الواقع، وأيضا العملية التربوية تتطلب لإعدادها كما سبق للدكتور رابح تركي التعرض لهذه المسألة بتوضيح شامل عندما ألح على ضرورة إشراك المختصين في علم اللغة وأيضا في مجال التربية والمختصين في علم النفس والاجتماع وأيضا البعض من الممثلين من أولياء الأمور لإعداد المادة الدراسية التي تتماشى وقدرات وسن المتعلمين مع مراعاة بيئة ومحيط المتعلم، وأيضا طرح العوائق والصعوبات التي تحول دون فهم المادة الدراسية وخاصة أنه حذر من كثافة البرامج التعليمية غير المدروسة التي تعيق وتنفر المتعلم من الدراسة والمدرسة (تركي رابح: 1990ص169).

لكن واقع التعليم في المدرسة الجزائرية، فيما يتعلق بمحتوى ونوعية البرامج الدراسية يختلف تماما عن الأفكار التي وردت في كتاب الدكتور الجزائري رابح تركي، حيث أصبح التلميذ الجزائري يعاني من كثرة المواد التعليمية الأدبية والرياضية ومن كثرة الفروض الفجائية مع صعوبة لغوية واضحة.

الأمر الذي دفع الأسرة الجزائرية المتواضعة ماديا إلى الاستنجاد بالدروس الخصوصية و البعض الآخر من الأسر الميسورة ماديا تلجأ إلى تسجيل أبنائها في المدارس الخاصة لغاية تحسين مستوى أبنائهم اللغوي والمعرفي وليس هذا فقط لغاية الفوز بأحسن التخصصات العلمية.

لكن التركيز حول الكيفية الفعالة لنجاح العملية التربوية، هي مسألة بيداغوجية هامة حيث تعتبر من المسائل التي تحتاج للموارد المادية والبشرية معا وهي غير متعلقة بالمدرسة العامة لوحدها بل متعلقة بكل مؤسسات التنشئة الاجتماعية وخاصة الأسرة حيث كما تطرق الباحث لهذه المسألة قائلا [عندما نطلب من الناس ماذا يعني لكم معلم؟ يجيبونني عموما انه شخص يعطي الدروس للتلاميذ، إلا أن التعليم له أبعاد ثلاثية: المعلم-المادة الدراسية-المتعلم.

ويضيف الباحث [مثلما هو جاري يمكننا القول أنه يستحيل تلقين المادة التعليمية من دون التأثير على المتعلمين وهد صحيح بصفة مطلقة، لأن المربي الجيد هو ذلك الشخص القادر على توجيه المتعلمين نحو عدد معين من الغايات] (F-G-Op.cit. :p17).

وتكاد العملية التربوية في مؤسستنا التعليمية الجزائرية، لم تتجاوز إشكالية البعد المعرفي اللغوي والذي نعني به المادة التعليمية التي مازالت لم تستقر على برنامج ثابت، الذي أصبح يتعرض للتغيير أو التعديل كل سنتين لكي نصل إلى إشكالية لها بعد نفسي بيداغوجي اجتماعي وإنساني والذي يشكل خطرا على مسار المدرسة العامة، والذي لا يكاد يطرح في مؤسستنا التربوية بعمق والممثل إما في طريقة التعامل بين المعلم والمتعلم، والعكس وبين المعلم وأسرة المتعلم أو في الطريقة الكلاسيكية في تلقين المادة التعليمية وفي طريقة العقاب الرمزية بعدما منعت وزارة التربية المعلم من ضرب المتعلم، ألا يعني ذلك وجود خلل في العملية التربوية، في المدرسة العامة في البعد المعرفي العام والبعد النفسي الاجتماعي أي من المفروض عندما نريد أن نحدث تغييرا لتجاوز الصراعات، يجب أن نتحكم في البعد النفسي الاجتماعي وذلك بمعرفة الانشغالات الحقيقية، لكل طرف على حدة المعلم وما مدى استعداداته لأداء مهامه والمادة الدراسية التي تكون مبنية على أساس بيداغوجي فعال، المتعلم الذي ينتظر من المعلم توجيهها بيداغوجيا، لذلك جاءت خطة مقالنا على النحو التالي:

- أسباب اختيار موضوع المقال
- أهداف الموضوع

- الإشكالية
- أدوار المعلم واختصاصاته
- العلاقة بين التربية واللغة
- علاقة اللغة بالوسط المدرسي
- أهمية التعليم في حياة المتعلم
- الخاتمة

أسباب اختيار الموضوع:

* تراجع المستوى التعليمي للتلميذ الجزائري معرفيا ولغويا واعتماده الشبه كلي على دروس الدعم لغاية تجاوز النقص وتجنب الفشل المدرسي.

* الطفل الجزائري يعاني صعوبة في التحصيل اللغوي الكتابي والشفوي في المدرسة العامة، وهذا حتى ولو انتقل من صف دراسي إلى آخر يكون مستواه اللغوي ضعيفا.

* تعديل البرامج الدراسية من سنة لأخرى من دون إشراك الفاعلين التربويين نجم عنه انتشار دروس الدعم التي أصبحت ممارسة من الصف الابتدائي الشيء الذي لم يكن ممارسا في السنوات الماضية والذي يعني وجود مجموعة من العوائق البيداغوجية داخل الوسط التربوي.

* تغيير البرامج التعليمية وجعلها أكثر كثافة أدى إلى خلل كبير على مستوى الأداء للمعلم وعلى مستوى الفهم والاستيعاب للمتعلم.

أهداف الموضوع:

* إعادة النظر في محتوى البرامج التعليمية اللغوية وذلك بإشراك أصحاب الاختصاص وخاصة العاملين في قطاع التربية، وتكييفها وفق ثقافة المجتمع الجزائري .

* العودة إلى دروس الدعم المجانية التي كانت في المدرسة العامة ممارسة على شكل دروس استدرائية فعلية من دون ممارسة بعض معلمي مدرسة العامة هذه الساعات في منازلهم عوضا عن أداء مهامهم التربوية في المدرسة، لأنه من حق المتعلم الجزائري الحصول على المعرفة مجانا وليس بالمال

* العملية التربوية تحتاج إلى ضماير حية لكي تنجح، لأنها مشكلة الجميع ومشكلة تهيئة أجيال المستقبل للنهوض بالمجتمع والحفاظ على الهوية الوطنية، وهي في غاية الخطورة يجب على المربين وذلك على كل المستويات التعليمية أن يكونوا أهلا لها، حيث يجب عليهم الشعور بثقل المسؤولية لأنها عملية تكوين الأفراد الذين لا يتأثرون بمعارف المعلم فحسب بل بحامل هذه المسؤولية .

* لو نتعامل مع المتعلمين كأشخاص وذوات وليس مجرد أعداد، قد نعيد حينئذ ثقة الأسرة الجزائرية في المدرسة العامة مثلما كانت عليه في الماضي.

الإشكالية:

إن الأسرة الجزائرية مهما اختلف مستواها التعليمي والثقافي إلا أنها تعطي قيمة للتعليم، لكن ممارستها التعليمية اتجاه أبنائها المتمدرسين تظهر متباينة من خلال عملية المتابعة المدرسية، وهذا راجع إلى اختلاف الرصيد الثقافي للوالدين ونوعية المكانة الاجتماعية المتباينة من وسط أسري لأخر.

فالاهتمام بالدراسة مثلما هو الشغل الشاغل لمختلف المختصين هو أيضا الشغل الشاغل لأسرنا الجزائرية التي تسعى إلى إنجاح أبنائها حسب ما تتوفر لديها من إمكانيات مادية ومعرفية وحسب درجة وعيها بالمناخ العام للمدرسة، فالخطاب الأسري المبني على أسس علمية ثقافية يساعد الطفل على فهم

اللغة المدرسية، كونه يحمل رصيدا لغويا ثريا من أسرته يمكنه من التكيف داخل محيطه المدرسي أما الخطاب الأسري العامي البسيط قد يعيق الطفل على فهم وإستيعاب المادة الدراسية.

إن إنتشار المدارس الخاصة في المجتمع الجزائري غير مبرر، بالضرورة بنجاح محقق فعليا لأن برامجها لا تتماشى مع برامج المدرسة العامة من جهة كما أن معلمي المدارس الخاصة ليسوا بأحسن حال من معلمي المدارس العامة لذلك تسجيل بعض التلاميذ في المدرسة الخاصة لا يعني انقطاعهم نهائيا عن المدرسة العامة، لأن هناك البعض من الأسر الجزائرية تتدارك ضعف أبنائها وخاصة على مستوى اللغات بواسطة تسجيلهم في المدرسة الخاصة .

لأنه تبعا لما هو ملاحظ في الواقع الإجتماعي الجزائري، الكثير منا أصبح يدرك أن نجاح المتعلم الجزائري في المدرسة العامة، غير مبرر بنجاح عام في مستواه اللغوي وخاصة أن أغلبية المتعلمين ينتقلون من مرحلة تعليمية لأخرى وهم يعانون خلاا عميقا في اللغات وهذا ما يكون له بعد سلبي للغاية وخاصة في المراحل اللاحقة للتعليم، والتي نخص بها الدراسة الجامعية سواء كان ذلك على مستوى الشفهي أو الكتابي أو هما معا.

كما أن النجاح الفعلي للعملية التربوية في المدرسة العامة، غير مبرر فقط بالنجاح ونسب الانتقال المدرسي من سنة لأخرى وتراجع نسب الرسوب المدرسي والطرود من سنة لأخرى مثلما يعتقد البعض لأنه قد يكون هناك انتقال لكن البعض من المعلمين، من يجدون أنفسهم مضطرين لإعادة البعض من معارف السنة الماضية للمتعلم الذي يحتاج الوقت الكبير لفهمها، أين المعلم مرتبط ببرنامج السنة الحالية والبعض الآخر يرى أن هذه المسألة لا تعينه تماما، وما على الأسرة سوى مساعدة أبنائها شخصا أو عن طريق الدروس الخصوصية والذي يعني نجاحا كميا عديدا، يوازيه فشل وتراجع كفي في وخاصة لغوي للمتعلم في المدرسة العامة الشيء الذي دفع بالأسرة الجزائرية، المدركة للفشل الذي يعاني منه أبنائها في المدرسة العامة وخاصة على مستوى اللغات، أن تفكر مباشرة في المدارس البديلة أو المدارس التي تبعا لتصوراتها قادرة على احتواء الضعف اللغوي، في المراحل الأولى للطفل أين تكون سهلة الاستيعاب والاكساب وأيضا هناك من بين الأسر الجزائرية، من تطمح إلى إنجاح أبنائها بتفوق وليس هذا فقط لاختيار أحسن التخصصات العلمية التي تواكب التغير الاجتماعي.

لذلك عدم تحكم المتعلم في المعارف اللغوية، في المرحلة القاعدية بالرغم من انتقاله من طور تعليمي لآخر سوف يصعب عليه بذلك تدارك الخلل اللغوي والمعرفي، في المرحلة الأساسية وخاصة المرحلة الثانوية التي تعتبر المرحلة الحاسمة في تحديد المصير المستقبلي للمتعلم، ومنه نتساءل:

* هل انتشار المدارس الخاصة كبديل لفشل المدرسة العامة في التلقين البيداغوجي للغات؟

* هل اللغة ببعدها الثنائي الشفوي والكتابي لها علاقة بفشل أو نجاح المتعلم؟

* هل للوسط المدرسي والمحيط الاجتماعي علاقة باكتساب اللغة عند المتعلم؟

1/ أدوار المعلم واختصاصاته:

من المستحسن أن يضع المعلم هدفا لدرسه ولمحتواه، لكن القلة من المعلمين لديهم وجهات نظر دقيقة في هذا الإطار والقليل منهم يعي ويعلم أن أسئلة الدرس، لها أهمية في تنمية الفضول الفكري للتلاميذ وكذا دوقهم في القراءة، طريقة حكمهم على الأشياء بموضوعية لكن الشيء الأساسي هو نمط وكيفية إلقاء الدروس وتفسيرها حيث منهجية تلقين الدروس للتلاميذ، لا تقل أهمية عن محتويات الدروس كما أنه لا يمكن أن يعتبر المعلم أن التلاميذ داخل الصف الدراسي، هم مجرد أرقام أو أن يمثل لهم كصديق فالمعلم دوره الأساسي هو التسيير، التوجيه والمسؤولية على أعمالهم المدرسية كما يجب أن يستحق إحترامهم وعلى العموم لا يستطيع المعلم أبدا القيام بمهمته إلا إذا كان محترما . [(Belabase.N.Azzedine :1999p12)]

فيما يخص المهام والأدوار التي يقوم بها المعلم، هي إدارة الصف، والتحكم فيه حيث يعتبر اختصاصا هاما من اختصاصات المعلم، وهي بمثابة جزء هام من عملية التدريس وخاصة عندما يتراوح عدد التلاميذ إلى غاية أربعين تلميذا، فإن إكتضاض الأقسام يخلق مشكلات خاصة بالتنظيم والتنسيق لذلك عملية إدارة الصف بإحكام هي الخطوة نحو تحقيق أغراض أكثر أهمية ترتبط بالتعليم.

وهذا لا يتحقق إلا بوجود منهج تربوي يتسم بالمرونة متماشيا، مع التغير الاجتماعي ومع مطالب الحياة

في المقابل فإن تحديد موضوعات المنهج، ليس نهاية المطاف لأن الطريقة التي ينفذ بها المنهج وأساليب معالجته لها أثر في مدى نجاح المنهج، فقد تكون الطريقة عقيمة تصرف التلاميذ عن الرغبة في العلم، وقد تكون مشوقة تدفعهم إلى المزيد من البحث والتعمق فيه، و نظرا لاختلاف وجهات النظر حول نوع الخبرات التي ينبغي تقديمها في المدرسة وحول القواعد التي يجب استخدامها لاختيار محتوى المنهج كموضوع تربوي أساسي أصبح أمرا ضروريا لا مفر منه، لكل من يعنى بالمسائل التربوية سواء كان مخططا أم منفذا.

في الأخير نقول أننا بحاجة ماسة إلى معلم مازال قادرا على أن يتعلم، وفي استطاعته أن يواصل ما نسميه التعليم المستمر أي أنه مستمر في تعليم نفسه، غير معتمد على ما لقنه إياه أساتذته ومعلموه وخاصة إذ ما بعد الزمن بينه وبين المدرسة، لأن المعلم التقليدي سوف يلجأ إلى التلقين دونما تجديد في المعارف اللغوية والتقنية بالتالي يجد نفسه غير قادر على البحث والدراسة، وهذا ما قد يؤثر سلبا على المستوى المعرفي والتحصيلي للتلاميذ، ويصبح ذلك المعلم الممارس للوظيفة التربوية في إطار المدرسة العامة كنموذج سلبي سواء كان ذلك بالنسبة للمتعلم وأسرته أو بالنسبة للهيكل المدرسي، لذلك نفسر رغبة بعض الآباء الجزائريين في تسجيل أبنائهم في المدارس الخاصة لمواكبة التغير المعرفي سواء كان ذلك على مستوى التلقين أو على مستوى اكتساب المعارف اللغوية والتقنية، ومنه نحن بحاجة إلى معلم مثقف لا تقف به قراءاته عند حد التربية يجب أن يسعى إلى تثقيف ذاته، لأن الحياة المعاصرة تنتم بانفجار المعرفة والمعلومات كما أنها في حاجة ماسة إلى إبداع، و ليس الإتياع والنقل والتقليد

2/العلاقة بين التربية واللغة :

باعتبار اللغة وسيلة تربوية وتثقيفية يكتسبها الطفل، من أسرته قبل أي مؤسسة اجتماعية أخرى فإن مسؤولية تلقينها هي على عاتق الأسرة، التي ينشأ فيها، فالطفل يتعلمها من والديه قبل أن يتعلمها من المدرسة ويزداد أو يقل رصيده المعرفي واللغوي تبعا للمستوى الثقافي والتعليمي لأسرته.

إن الأسرة وما تحمله من رصيد ثقافي ومعرفي عاليين تؤثر إيجابيا في دراسة الأبناء، حيث كلما كان الخطاب المعرفي الأسري قريب من الخطاب المدرسي كانت حظوظ النجاح لدى الأبناء عالية وكلما كان خطابها المعرفي بعيد كل البعد عن الخطاب المدرسي، حظوظ النجاح تكون ضعيفة لذلك فالأسرة قد تكون محفزا نحو النجاح المدرسي، كما قد تكون عائقا نحو النجاح المدرسي.

لكن الخطاب المعرفي الأسري ورؤية الأسرة الجزائرية للمدرسة العامة، عرف تغيرا وخاصة مع ظهور ما يسمى بالتعليم الخاص ولجوء الأسرة الجزائرية، على اختلاف مكانتها الاجتماعية والثقافية إما للمدرسة الخاصة أو لدروس الدعم لغاية الرفع من مستواهم التعليمي، و إنقاذ أبنائهم من الفشل اللغوي والدراسي في المدرسة العامة و إقبال الأسرة الجزائرية على التعليم الخاص، سببه صعوبة فهم التلميذ للمادة الدراسية وفشل ملحوظ في اللغة المدرسية سواء كان ذلك على مستوى النطق أو على المستوى الكتابي معاناة المعلم في المدرسة العامة من محتوى البرنامج المدرسي، من جهة ومن كثافته من جهة أخرى وأيضا من إكتضاض القسم بالتلاميذ، لذلك خلال السنوات العشر الأخيرة، كثر الحديث في

الأوساط التربوية والاجتماعية حول انتشار المدارس الخاصة و على العلاقة بين التربية واللغة حيث يعتبرها، بمثابة عنصر حاسم في نجاح التلميذ أو فشله (collin.A.1983.p4)

ولقد أولت الجزائر اهتماما خاصا بالتربية حيث نصت المادة 17 من القانون الصادر في 16 أفريل 1976 أن النظام التربوي من اختصاص الدولة، غير أنه يمكن لكل شخص مؤهل أن يخضع إلى القانون الخاص أن ينشئ مؤسسة تعليمية، ويتعين على مؤسسة التعليم الخاصة أن تطبق البرامج الرسمية في المؤسسات العمومية التابعة لوزارة التربية الوطنية، وتبعا لإحصائيات 2005 فإنه تواجدت في الجزائر 155 مدرسة ابتدائية خاصة 76 منها متواجدة في الجزائر العاصمة.

* ما يفسر انتشار هذه المدارس أن أغلبية الآراء أصبحت تتضارب حول مدى فعاليتها أو عدم فعاليتها مقارنة بالمدرسة العامة لذلك الحكم على مدى فعالية المدرسة الخاصة، يحتاج للبحث والدراسة على المدى الطويل أما عدم الفعالية لا يجب أن يكون مبنيا على أحكام قيمية، وإنما على دلائل موضوعية وخاصة واقعية التي تدفع الأسرة الجزائرية لاختيار المدرسة الخاصة بالرغم من غلاءها، حيث منطقيا لجوؤها للمدرسة الخاصة يفسر بضعف المدرسة العامة في نمط الأداء اللغوي، المسجل والملاحظ في المستوى الكتابي والشفوي للتلميذ لأن تعلم اللغة عامل أساسي، لفهم باقي المواد بشكل صحيح وصعوبة الفهم والاستيعاب حتما سوف تنقرّ الطفل من الدراسة والمدرسة، أو تجعله عرضة للرسوب المدرسي والتسرب... كما أن نجاح المدرسة العامة لا يكمن في التقليل من نسب الرسوب وارتفاع الانتقال المتعلم وهو يعاني خلافا على مستوى اللغات والفهم .

* والذي يظهر جليا في المراحل التعليمية اللاحقة الشيء الذي دفعنا للتساؤل هل المدرسة العامة تعاني خلافا في تلقينها للوظيفة اللغوية وخاصة اللغات الأجنبية بطريقة سليمة وسهلة للاستيعاب، إذا قبل الوصول إلى الغاية من التعليم الخاص والحكم عليه بأنه يشوه الثقافة الجزائرية أو الغاية منه جمع المال يجب معرفة الخلل الوظيفي في عملية تلقين اللغات في المدرسة العامة أو في توظيف السير اللغوية في كل من اللغة العربية والفرنسية منه استيعاب المعارف العلمية تتوقف إلى حد بعيد على عملية التحكم السوي في اللغات من الناحية الشفوية وكذلك الكتابية، فالمجتمع الجزائري يعاني من إشكالية اللغة في المدرسة العامة والذي قد يكون سببا قويا في إقبال الأسرة الجزائرية على المدرسة الخاصة لغرض تحسين الوظيفة اللغوية للأبناء، عندما تكون قادرة ماديا أو اللجوء للدروس التدمعية عندما تكون الأسرة متوسطة الدخل، فالأسرة الجزائرية مهما كانت وضعيتها المادية، تبدي انشغالا كبيرا في تحسين المستوى التعليمي للأبناء وهذا الانشغال، لا يأتي من عدم بل من عدة نقائص مازلت تعاني منها المدرسة العامة والذي بدوره يبرر انتشار التعليم الخاص بالرغم من اعتباره من قبل البعض أن الغرض منه مادي وإيديولوجي، لأنه ما يهم الأسرة الجزائرية احتواء النقص المعرفي اللغوي لأبنائها والنجاح في الدراسة فاللغة هي أداة أساسية للفهم والاستيعاب في كل المراحل التعليمية، وفي كل المقاييس التعليمية، حيث نستطيع تشبيهها بمفتاح التلقين العلمي

علاقة اللغة بالوسط المدرسي :

من المهم جدا طرح إشكالية العلاقة بين الوسط المدرسي والاكْتساب اللغوي للطفل لأنه خلال ستة سنوات من عمره يرتقي الطفل من أسلوب السؤال والجواب للنص السردي أي ما تسميه الباحثة Le texte discursif فهم وتعلم اللغة شفويا وكتابيا لذلك من الضروري فهم اللغة الشفوية لسهولة اكتساب اللغات للحصول على المعرفة المركبة. (zella.N.2002.p.p302.305.)

فاللغة الشفوية كقاعدة للاتصال حيث تضيف الباحثة في قولها [إنني ابدي تخوفا اتجاه ثنائية الشفهي والكتابي] لأنها مسألة يجب التحكم فيها وباستثمار كبير، وإذا كانت فرنسا قد أعطت قيمة كبيرة لتعليم

اللغات الشفوية في مدارسها لأن الكتابي ثم تعليمه جيدا من خلال النص في قواعده Le texte dans ses lois

إن الحصول على المعرفة العلمية سهلة عند الطالب الفرنسي مقارنة بالطالب الجزائري الذي يجد صعوبة في كتابة نص بشكل صحيح (سواء في اللغة العربية أو في اللغة الفرنسية) لأنه تعليم اللغة المكتوبة لم يتضمن من خلال النص وإنما تم الاعتماد على طرائق سمعية بصرية يتم فيها ترجمة جمل شفوية إلى كتابية من السنة الأولى إلى السنة الرابعة والطفل الجزائري حتى سن 10 سنوات يبقى يعاني من خلل في اللغة الشفوية في الوقت الذي يؤكد فيه المختصون انه يمكن له المرور إلى الكتابي لذلك من الأحسن تعليم الشفهي ثم الانتقال للكتابي، أين تعتقد الباحثة أنها عقبة خطيرة أدت إلى فشل المدرسة الجزائرية (Zellal.N.p305).

وفي إطار الدراسة التي أعدتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم أن التباعد الموجود بين الأهداف الموضوعية للغة العربية الفصحى وطرق تدريسها أدى إلى تواجد المربين أنفسهم أمام لغة مكتوبة علموها للطفل كتابيا بدون التركيز على التدريب الشفهي فيها وهد المبدأ ينافي المبدأ الأساسي الذي أقره علماء اللسان في العصر الحديث والذي هو أسبقية المقول على المكتوب.

أما فيما يخص الباحث محمود العيشوي، يرى أن تعليم اللغة يفترض تقديمها شفويا أو تقديمها شفويا في نفس الوقت الذي يبدأ فيه تعليم القراءة والكتابة لا بعده، لذلك اللغة المعلمة في المدرسة هي لغة مصطنعة تعتمد على الحوار الجامد وليست لغة الوصف والسردي، في الوقت الذي يجب أن تعتمد على تقنية التبادلات اللفظية والحوار في اللغة الشفهية غير خاطئة، لذلك يتهم الأخصائيون هذه المدرسة باستخدامها لطرق لا تشجع على اكتساب وتطوير اللغة العربية عند الطفل الجزائري وتبعا لمليكة قريفو الخطر يكمن في استعمال طرق مستمدة من الطريقة البافلووية. (محمود العيشوي. 1991. ص113).

* لذلك أصبحت المهام التربوية اللغوية محصورة فيما هو تقني أكثر مما هو فكري ومعرفي بمعنى أصبح تعليم اللغة العربية محصورا في مجموعة من القواعد والأنماط والتراكيب متجاهلين أن هذا التعليم اللغوي التقني ما هو إلا جزء بسيط جدا مقارنة بالوظائف الأساسية للغة التي هي السرد والتعبير حيث نجد تلاميذنا في معظم كتاباتهم أو كلامهم، يكتفون بما تعلموه فقط فالمشكل يتمثل في تسخير المضمون المعرفي والفكري إلى المضمون اللغوي وليس العكس (تعوينات. علي. 1994. ص 174)

*ذلك يرى علماء النفس اللغويين أن المدرسة لم تأخذ بعين الاعتبار من المحيط البيئي للطفل والجانب اللغوي الذي يؤدي إلى إعاقة الروح الإبتكارية، وصعوبات في الكفاءات المدرسية ومن الضروري الإشارة أن لغة الاتصال اليومي عند 80 % من الجزائريين هي العربية العامية في حين أن اللغة العربية الفصحى غير مستعملة بصفة واسعة، لذلك يجب على البرامج المدرسية أن تحاول الاجتهاد في تقريب الفصحى من الحياة الحقيقية للطفل. (Taleb.b.k.1997.p50)

إن المسؤولين في مجال التربية قد تجاهلوا كل ما أتى به علم الاجتماع وعلماء النفس اللغويين والبيداغوجيين والديداكتيك من نتائج علمية حول تعليم اللغات والذي بسببه حدثت قطيعة على المستوى الاجتماعي واللغوي وخاصة بإهمال المدرسة الجزائرية للعامية الشفهية التي تتصف بالشفوية.

وتضيف أيضا قائلة [إن الانتقال من لغة مصطنعة مفصولة عن بيئتها الطبيعية إلى لغة أكثر ثراء مطبوعة بدقة البلاغة يؤدي إلى قطيعة خطيرة في استمرارية اللغة حيث نجد تلاميذ يفقدون معالمهم الاجتماعية اللغوية، لأن لغة المدرسة لا علاقة لها بحقيقة بيئتهم وفي نهاية المسار التعليمي لا يسيطر التلاميذ على أي من اللغتين المكتوبتين العربية والفرنسية]

* وفي الأخير تقول الباحثة خوله طالب إبراهيمي [أما المجتمع الجزائري يمتاز بالازدواجية اللغوية لأننا بصدد التعامل مع لغتين مختلفتين (العربية والفرنسية) والتي تستخدم في آن واحد وأن هذه الازدواجية تعزز إتخاذ هاتين اللغتين في النظام المدرسي وهذا ليس بالشيء المفاجئ إلا أنه بعد 10 سنوات من التمدرس يفترض أن يكون الشاب الجزائري حقا مزدوج اللغة إلا أنه هناك مجال للشك في ذلك لأن مردود هذا النظام هو موضوع الحديث ونتائجه ضعيفة جدا، لدى فالمدرسة الجزائرية لا تكون أفراد ذات ازدواجية لغوية ولكنها بصدد تكوين شبه لغويون semi-Langue الدين ليس لديهم تحكم في أي من اللغتين.

* فالحل لا يتوقف في اللجوء إلى المدرسة الخاصة، لأن الإشكال المطروح يتعدى الازدواجية للضعف الظاهر لتلاميذ المدرسة العامة في اللغة الأجنبية الفرنسية مقارنة باللغة العربية التقنية والعكس بالنسبة للمدرسة الخاصة أين يجيد التلميذ اللغة الفرنسية وبمواضيع لا تتوافق مع الواقع الاجتماعي الجزائري على حساب اللغة العربية التي تمثل رمزا من رموز الثقافة الجزائرية.

لذلك الإشكالية تبقى مطروحة في كلا المدرستين العامة والخاصة والعلاج السريع يكمن في إصلاح المنظومة التربوية والمناهج التربوية على المستوى البيداغوجي المعرفي والمدني وليس على المستوى التقني والشكلي للغة الذي أصبح ينفّر المتعلمين من المدرسة العامة وهذا على مستوى كل الأطوار التعليمية وخاصة الطور الابتدائي الذي نعتبره مرحلة جد حساسة في حياة المتعلم.

أهمية التعليم في حياة المتعلم:

لكي نبرز أهمية التعليم بصفة موضوعية، لا بأس أن نتطرق إلى ما جاء به ابن خلدون في فصل من مقدمته المفسرة وقد سماه (فصل في وجه الصواب في تعليم العلوم وطريق إفادته): «إعلم أن تلقين العلوم للمعلمين إنما يكون مفيدا إذا كان على التدرج شيئا فشيئا وقليلًا يلقى عليه أولا مسائل من كل باب من الفن هي أصول ذلك الباب ويقرب له في شرحها على سبيل الإجمال ويراعي في ذلك قوة عقله واستعداده لقبوله ما يرد عليه حتى ينتهي إلى آخر الفن، وعند ذلك يحصل له ملكة في ذلك العلم، إلا أنها جزئية وضعيفة وغايتها أنها هيأته لفهم الفن وتحصيل مسائله» ثم يرجع به إلى الفن مرة ثانية فيرفعه في التلقين من تلك الرتبة إلى أعلى منها ويستوفي الشرح والبيان ويخرج عن الإجمال ويذكر له ما هنالك من الخلاف ويوجهه إلى أن ينتهي إلى آخر الفن فتجود ملكته.. هذا وجه التعلم المفيد (ع. ابن خلدون. 1991).

(ص 308)

إذا أهمية العلم عند ابن خلدون تكمن أساسا في كيفية تلقينه للمتعلمين، ولقد ذكر أنه يكون بالتدرج كما أضاف أيضا القوى العقلية للمتعلمين كونها ضرورية للإستيعاب، حيث أعطانا الطريقة البيداغوجية لتلقين العلوم بدءا بالتدرج والشرح والقوى العقلية والرغبة التي يجب أن يراعيها المعلمين في المتعلمين.

لكن التعليم في وقتنا الحاضر وعلى الأخص في المجتمعات النامية مثل مجتمعتنا ينتقد أساسا كونه لا يحقق مطالب العصر وأنه لا يزال يعتمد إلى درجة كبيرة على تكنولوجيا تعليمية قديمة وبالية وهناك من يفسر أسباب هذا التخلف النسبي بأن التعليم يعتبر من أكثر أوجه النشاط الإنساني صعوبة وتعقيدا لذلك من الضروري توفير المزيد من المرونة لنظم التعليم وطرق تعديل مناهجه فجميع مراحل التعليم ينبغي أن تكون مفتوحة أمام كل فرد لتعطي فرصا أكثر للنمو الثقافي والمهني، كما يجب أن تنشأ الأجهزة الكافية لإستمرار مراجعة المناهج الدراسية، وجعلها دائما في مستوى ملائم للتطور العالمي والشيء المهم في التعليم هو تتبع التطور وإستيعابه والذي بدوره يقتضي العمل بإستمرار على رفع المستويات التعليمية حتى يمكن أن تخرج الفرد من التعليم النظامي، وهو قادر على مواجهة الحياة في صورتها المعقدة وهذا لا يكون بزيادة مدة التعليم، بل يكون بمراجعة أفكارنا عما هو أساسي في العلم والمعرفة

وتعديل خطط التعليم ومناهجه والتجاوز عن كثير من التفصيلات والتكرارات والتدريبات التي لا معنى لها.

ويبقى كل موقف تعليمي يساير روح العصر، إنما يحمل جديدا لكل من المعلم والمتعلم وتصبح القضية هنا كيف نعد المعلم القادر لمثل هذه المواقف (تركي رابح-مرجع سابق-ص256).

الخاتمة:

يرى Fourez-gérard بأن المعلم والمربي مثلما يفضل تسميته، أنه ليس بالجنس الفائق القدرة في مؤلفه L'éducateur n'est pas une sorte de surhomme الذي يعرف كل شيء ويشترك في نسق أخلاقي مجرد وصعب، لذلك يجب أن يظهر كشخص يريد أن يربي ويريد الاستقلالية في التربية والذي يتركز ويتموقع بالقدر الذي يستطيع في المجتمع، كما أنه يرى المربي أنه ذلك الشخص الذي لديه عواطف، حياة شخصية ولديه النقاط الذي يقدر ويثمن ضعفها وقوتها وأيضا هو الشخص الذي يرتكب أخطاء، ويحقق المشاريع. لذلك نجاح النسق المدرسي غير محصور بالضرورة بشخصية المعلم لوحده لأن المعلم هو مجرد شريك في العملية التربوية تتداخل معه عدة أنساق اجتماعية وأهم نسق هو النسق الأسري، ثم تليه الأنساق الاجتماعية الأخرى فالمعلم ليس المسؤول الوحيد على نجاح أو فشل العملية التربوية، لأن مؤسسات التنشئة الاجتماعية تؤثر في العملية التربوية للمتعلم وفي الأداء التربوي للمعلم، ومنه نستطيع أن نعتبر المعلم عضوا شريكا في العملية التربوية.

ويضيف قائلا حول مدى فعالية العملية التربوية [التعليم الفعال يقوم دائما من خلال العلاقة العاطفية والودية بين المعلم والمتعلم لذلك لا يجب الاستغراب في حالة ما إذ ربطت بين المعلم والمتعلمين علاقات ودية عميقة، لأنه عند عدد من الحالات لبعض المتعلمين من يعتبرون أن المربين أو المعلمين هم بمثابة آبائهم أو أولياءهم وهذا ما يسمى في علم النفس بالعلاقات المرجعية Des relations transférentielles] ويعني بذلك أن العملية التربوية تقتضي نوعا من التعامل الودي والمرونة في حدود العقلانية بين المعلم والمتعلم لأن ذلك يساعد الطرفين في عملية التكيف المدرسي 'المعلم بطريقته المرنة والذكية يجلب انتباه المتعلم ويحببه في المادة التعليمية وفي المدرسة، بالتالي تكون طريقة الإلقاء فعالة ومجدية وغير متعبة بالنسبة للمعلم، أما إذا كان التعامل بخشونة وقسوة تكون العلاقة بين المعلم والمتعلم مشحونة بالكراهية والعنف وكره للمادة الدراسية ونفور مدرسي، لذلك فالمعاملة النفسية والأخلاقية لها تأثير في مدى قبول أو نفور المتعلم من المدرسة، لأجل هذا المجتمع الجزائري ينتظر من المعلمين النضج والاستحقاق de la maturité وروح أخلاقية Et un sens éthique في علاقاتهم العاطفية مع المتعلمين ومن الطبيعي أن يشعر المعلم بالإعجاب بنفسه أو بالإثارة عندما يدرك حب المتعلمين له، كما لا يجب على بعض المعلمين الإستغراب من ردود الأفعال السلبية من رفض للإصغاء أو غيابات متكررة لبعض المتعلمين إزاء معاملتهم إياهم بقسوة وخشونة أو باستخفاف قد يحط من قدر وقيمة المعلم وقيمة العملية التربوية فالعنف يولد العنف والنفور من المدرسة العامة والانتقال للمدرسة الخاصة كما أن التعامل باستخفاف مع المتعلمين يضعف من هيبة واحترام المعلم ويؤثر سلبا على الأداء التربوي للتلاميذ من جهة وعلى تصوراتهم لمكانة الأستاذ في المدرسة العامة لذلك العملية التربوية السليمة والسوية لا تقتضي الخشونة والتشدد مع التلاميذ ولا تقتضي الليونة الزائدة في العلاقة بين المعلم والمتعلم، وإنما تقتضي الاعتدال في التعامل التربوي مع كل التلاميذ.

قائمة المراجع :

- 1 تركي (رابح): أصول التربية والتعليم. ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر. ط.2. 1990.
- 2 تعوينات (علي): صعوبات تعلم اللغة عند الطفل، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1994 .
- 3 عشوي(مصطفى) المدرسة الجزائرية إلى أين، دار الأمة، الجزائر. 1991 .
- 4 عبد الرحمان بن محمد ابن خلدون، المقدمة، منشورات المعارف للطباعة والنشر. تونس.. 1991
- 5-Belabess(Nabi-Azzedine), Guide pédagogique, Alger ; palais du livre éd :ISBN.1999.
- 6-Collin (A) et autres, langage spontané : langage élaboré. Paris.1983.
- 7-Fourez (Gérard), éduquer (écoles éthiques ; sociétés), éd de BOECK université. Paris.1998
- 8-Taleb.B.K, les algériens et leurs langues, éd el HIKMA.ALGER.1997.
- 9- Zellal (Nacira) : oral/écrit dans l'éducation de l'enfant ; VERSUS de l'écolier. Paris.2002.